

الاقتباس والتناص من القرآن الكريم لدى شعراء مجلة الأدب الإسلامي

منجد مصطفى بهجت / أنس حسام النعيمي

Adaptation and Intertextuality in the Poems of the Poets of the League of Islamic Literature

Munjid Mustafa Bahjat & Anas Husam Al-Naimi

International Islamic University Malaysia, P.O. Box 10, 50728 Kuala Lumpur, Malaysia.

Email: munjidmb@hotmail.com

Received: 16 April 2013; Revised: 9 July-5 August 2013; Accepted: 30 August 2013

Published online: 1 Sept. 2013

Abstract: Adapting texts from the Quran is considered one of the necessary requirements of eloquence and fluency for every speaker of the Arabic language and every literary man regardless of whether he composes poetry or writes prose. Adaptation is a phenomenon that is studied and analyzed by the scholars of eloquence and literary criticism. As for Intertextuality, it is one of the poetic styles and artistic techniques which is commonly used by modern and contemporary poets. Moreover, poets celebrated its use, as a way of creating interrelations between texts, which in turn enriches the text as a whole. This enrichment contributes to the enhancement of the aesthetic structure of the text in the first place. Just like adaptation, intertextuality is also a phenomenon closely studied by contemporary critics, who attempted to define it, identify its types, its different forms, its effect on the text and its analysis and its effect on the listener. This research paper will attempt to define the two phenomena of adaptation and intertextuality. In addition, the paper will discuss the levels of adaptation and intertextuality among the poets of the league of Islamic literature by analysing their poetic texts published in the magazine of the league starting from its inaugural issue to the fortieth in a period spanning 10 years from 1993 to 2004. The research paper will rely on the inductive analytical methodology and will consist of three parts. The first part deals with the definition of the two terms. The second part will discuss adaptation, its types, levels and some of its examples. The third part will discuss intertextuality, its types, levels and some of its examples.

Keywords: Quran, language, intertextuality, contemporary poetry a day.

الاقتباس والتناص من القرآن الكريم لدى شعراء مجلة الأدب الإسلامي منجد مصطفى بهجت / أنس حسام النعيمي

الشعرية، حين رأيت أن "كل نص يتشكل من تركيبة فسيفسائية من الاستشهادات، وكل نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى"³.

ثم التقى حول هذا المصطلح عدد كبير من النقاد الغربيين وتوالت الدراسات حول التناص وتوسع الباحثون في تناول هذا المفهوم وكلها لا تخرج عن هذا الأصل، وقد أضاف الناقد الفرنسي "جيرار جينيت" لذلك أن حدد أصنافا للتناص كالاستشهاد وهو الشكل الصريح للتناص، والسرقة وهو أقل صراحة، ثم النص الموازي، والوصف النصي، والنصية الواسعة وهي علاقة الاشتقاق بين النص القديم والحديث، ثم النصية الجامعة⁴.

وقد أضاف النقاد العرب المعاصرون الكثير من الإضافات حول مصطلح التناص، فقد عرفه "خليل الموسى" بقوله: "مصطلح سيميولوجي وتفكيكي معاً، يذهب أصحابه وفي مقدمتهم "كريستيفا" وبارت وجينيت"، إلى أن أي نص يحتوي على نصوص كثيرة، نتذكر بعضها ولا

تأتي هذه الورقة جزءاً من مبحث التناص والاقتباس، في دراسة علمية عن شعراء مجلة رابطة الأدب الإسلامي¹. يعد التناص من الأساليب الشعرية والتقنيات الفنية التي استخدمها الشعراء المحدثون والمعاصرون على نطاق واسع، واحتقوا بها بوصفها ضرباً من تقاطع النصوص الذي يمنح النص ثراءً وغنى، مما يسهم في إعلاء بنيانه الجمالي في المقام الأول، كما إنه "جزء من استراتيجية الانحراف القائمة على مغايرة اللغة الشعرية للخطاب الاتصالي-النثري"². كما يعد ظاهرة شغل بها النقاد المعاصرون وحرصوا على إعطاء تعريفات لها وبيان أنواعها وأشكالها المختلفة، وبيان أثرها في النص وتحليله وأثرها في المتلقي بما توظفه من أبعاد دلالية تختزلها في داخل النص الشعري الجديد.

وكانت "جوليا كريستيفا" تلميذة العالم الروسي- "باختين" -، أول من تنبه إلى قضية التناص Intertextuality في دراستها لثورة اللغة

³ جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فؤاد الزاهي، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ط1، 1991م، ص79.

⁴ ينظر: محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، المغرب، دار توبقال، ط1، ج3، ص186.

¹ وهي بعنوان: "الالتزام والإبداع الفني عند شعراء مجلة الأدب الإسلامي، من العدد الأول إلى العدد الأربعين، دراسة نقدية تحليلية". الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2012.

² عبدالعزيز موافي، قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2004م، ص220.

وتعريفات التناص كما بينها النقاد كثيرة جدا ومتشعبة وكلها تدور حول جوهر التناص الذي يصب في النهاية في كونه تأثر بنص سابق، وبذلك تسمى القصيدة "ليست كتابة بل إعادة كتابة"¹⁰، وبهذا المفهوم يسمي كل نص يمثل نوعا من التناص "لأن النص الجديد يقوم بهضم النصوص التي سبقته وتمثلها وتحولها"¹¹.

ولذلك قالوا بحتمية التناص "إن التناص أمر لا بد منه وذلك لأن العمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة تماما مثل الكائن البشري، فهو لا يأتي من فراغ كما أنه لا يفضي إلى فراغ، إنه نتاج أدبي لغوي لكل ما سبقه من موروث أدبي، وهو بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه"¹². الغدامي، حصة، إن القائلين بهذا الرأي ينفون أن يكون أي نص نتاجا خالصا للشاعر، أو أن تكون لغته نقية تماما من أثر لغة الآخرين، لأن اللغة هي نتاج تعلق وتواشج مع لغات الآخرين وخبراتهم وثقافتهم.

وعلى الرغم من أهمية التناص كونه يسعى إلى تخصيص النصوص وتلقيحها بثقافات وإشارات تنتشلها من السطحية وتطلق بها في أفاق أعمق من الجدة وذكاء التاويل¹³، إلا أنهم يجمعون على أنه "لا يعني أن يقوم الشاعر بإعادة معاني الشعراء السابقين أو اجترار تراكيبيهم، بل عليه أن يحدث في تلك المعاني والأبنية إضافاته وتحويراته الخاصة ليجعل منه جزءا من رؤياه الشخصية إزاء الكون والشعر والحياة وعنصرا من عناصر نبرته وأسلوبه"¹⁴.
فالتناص في المفهوم الحديث لا يعني مجرد اجترار للنصوص أو امتداد أفقي لها، وإنما يقوم أصلا على فتح حوار مع النص بهدف توظيفه

نتذكر بعضها الآخر، وهي نصوص شكلت هذا النص الجديد، فالكتابة نتاج لتفاعل عدد كبير من النصوص المخزونة في الذاكرة القرائية، وكل نص هو حتما نص متناص، ولا وجود لنص ليس متداخلا مع نصوص أخرى"⁵.

أما "محمد مفتاح" فيقول في تعريفه: "التناص هو تعلق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة"⁶. كما يرى فيه ظاهرة لغوية معقدة يصعب ضبطها وتقنينها، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي ومعرفته الواسعة وقدرته على الترجيح مع الاعتماد على مؤشرات في النص تجعله يكشف عن نفسه⁷.

كما عرّفه "محمود جابر عباس" بإسهاب بأنه "اعتماد نص من النصوص على غيره من النصوص النثرية أو الشعرية القديمة أو المعاصرة الشفاهية أو الكتابية العربية أو الأجنبية ووجود صيغة من الصيغ العلائقية والبنوية والتركيبية والتشكيلية والأسلوبية بين النصين"⁸.

ويرجع "ناصر جابر شبانة" التناص إلى صيغته الصرفية ليشترك منها معناه فيقول: "والتناص صيغة صرفية على وزن (تفاعل)، بما تحمله هذه الصيغة الاشتقاقية من معاني المشاركة والتداخل بما يعني تداخل نص في نص آخر سابق عليه، ليمسي لدينا نسان: نص سابق، ونص لاحق، بينهما علاقة خاصة قد تبدأ بالمسّ الرقيق وتنتهي بالتمازج الكلي حتى يبدو الفصل بينهما أمر في غاية الصعوبة"⁹.

⁵ خليل، الموسى، قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، دمشق، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000م، ص133.

⁶ محمد، مفتاح، تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، الدار البيضاء، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1، 1985م، ص119.

⁷ ينظر المصدر السابق، ص121.

⁸ محمود جابر، عباس، استراتيجية التناص في الخطاب الشعري العربي الحديث، علامات في النقد، نادي جدة الأدبي، جدة، شوال 1423هـ، ص266.

⁹ ناصر جابر، شبانة، "التناص القرآني في الشعر العماني الحديث"، عمان، مجلة جامعة النجاح للأبحاث "العلوم الإنسانية"، المجلد 21، ع4، 2007م، ص1080.

¹⁰ عبد العزيز، حمودة، "الخروج من التيه-دراسة في سلطة النص"، الكويت، عالم المعرفة، ط1، 2003م، ص201.

¹¹ عبد الستار، الأسدي، "ماهية النص"، مجلة الرافد، الشارقة، ع31، 2000م، ص14.

¹² ثقافة الأسئلة مقالات في النقد والنظرية، عبد الله، الغدامي، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ط2، 1992م، ص111.

¹³ محمد عثمان، الجزائري، تخصيص النص، أمانة عمان الكبرى، ط1، 2000م، ص25.

¹⁴ علي جعفر، العلق، الدلالة المرئية، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 2002م، ص65.

بمناخ دلالي يدفع به نحو قراءة تأويلية تقوم على التفكير وإعادة البناء¹⁸.

ومن هنا فقد فرّق أحد الباحثين بين الاقتباس والتناص قسماً إلى¹⁹:

التناص الظاهر: ويدخل ضمنه الاقتباس والتضمين ويسمى أيضاً التناص الواعي أو الشعوري.

التناص الخفي: ويكون فيه المؤلف غير واع بحضور نص في النص الذي يكتبه، ويسمى أيضاً بالتناص اللاشعوري.

وهذا التقسيم لا يبعد كثيراً عن تقسيم الاقتباس إلى مباشر وغير مباشر، أو نصي وإشاري، ومع تعدد التعاريف والتقسيمات للتناص، يمكننا القول إن التناص ظاهرة شائعة بكثرة في الشعر الحديث والمعاصر، قد تحدث بصورة واعية وامتددة من لدن الشاعر، أو تحدث بصورة عفوية غير مقصودة، عن طريق تراكم الخبرات القرائية السابقة، على أن يتم توظيفه بصورة جيدة تخدم النص وتزيد من عمق إحيائه. أما التضمين أو الاقتباس، فيتعددهما الشاعر إذ يوظفهما في شعره لأغراض منها الإيجاز والاختصار عن التطويل والحليم تكفيه الإشارة-، أو أن يأتي على سبيل التمثيل أو الاستشهاد، لدعم أفكاره ومعانيه.

ولعل التصنيف الأهم للتناص والذي سنعتمده في تحليل نصوص شعراء المجلة، هو ما نبّه إليه أحد الباحثين بقوله: "أحب أن أذكر بحقيقة مهمة فقد قدم النقاد تصنيفات كثيرة للتناص، فتحدث بعضهم عن التناص الواعي والتناص غير الواعي، وكذلك التناص القائم على التحقيق، وغيره القائم على الخرق، وتناص التضاد وتناص التناقض، لكنهم في كل ذلك لم يفتنوا إلى التصنيف الأهم المرتبط بالبعد الجمالي والتفويج الكلي للنص، وهو ما يدعونا

وإعادة إنتاجه، وربما برؤية مختلفة قد تنتهي به إلى حد المفارقة¹⁵.

وهناك من النقاد من يخلط بين التناص والاقتباس والتضمين، "فأحمد الزعبي" يعرف التناص بقوله: "أن يتضمن نص أدبي ما نصوصاً أو أفكاراً أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي وتندغم فيه لينتقل نص جديد واحد متكامل"¹⁶.

أما "تركي المغيض" فيرى أن التناص يظهر من خلال كل من (الاقتباس، والتضمين)، إذ يجعل من الاقتباس والتضمين شكلين من أشكال التناص.

فالاقتباس عنده: شكل من أشكال التناص، واستلهاً وامتصاصاً لنص قرآني أو تحويل وتغيير لسياقه ونقله إلى سياق ونسق شعري جديدين.

أما التضمين: فيرى فيه شكلاً آخر، ليس شرطاً أن يكون بيتاً أو شطراً وإنما قد يكون جملة شعرية من بيت، يضمها الشاعر حسب السياق النفسي للموقف والسياق المعنوي للبيت¹⁷.

وهناك فرق بين التناص والاقتباس أو التضمين، فقد "تعدد أشكال التناص حتى ليتخطى فكرة الاقتباس، ويتفوق عليها، فإذا كان الأول يعني اقتطاع النص السابق والزج به في النص اللاحق دون أن يتفاعل مع جزئياته أو يتحد معها؛ فإن التناص يسعى إلى إنشاء علاقة ما بين النصين فريدة وحميمة قد تبدأ بالإشارة العابرة اللاواعية، وتنتهي عند إحاطة القارئ

¹⁵ ينظر: "التناص في القصيدة الحديثة"، عبدالمنعم عجب، الفيا، الكويت، البيان، رابطة الأدباء، ع355، ص36.

¹⁶ أحمد، الزعبي، التناص نظرياً وتطبيقياً، عمان، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ط2، 2000م، ص11.

¹⁷ المغيض، ينظر "التناص في نماذج من الشعر المغربي المعاصر"، تركي، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، مح20، ع1، 2002م، ص94 وما بعدها.

¹⁸ إبراهيم، خليل، من معالم الشعر الحديث في الأردن وفلسطين، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006م، ص163.

¹⁹ نجم، مفيد، "التناص بين الاقتباس أو التضمين والوعي واللاشعور"، الشارقة، ملحق بيان الثقافة، جريدة الخليج، ع55، يناير 2001م، ص2.

إلى التمييز بين ضربين من التناص هما:
التناص الجيد والتناص الرديء²⁰.

ومن هنا فقد استخدم شعراء مجلة الأدب الإسلامي التناص والاقْتباس في أشعارهم، ومن منطلق الإسلامية في الأدب وكون هؤلاء الشعراء ينتمون للتيار الإسلامي في الشعر، فضلا عن كونهم مسلمين بالدرجة الأولى، فقد كان للإسلام ومصادره دور في ثقافة هؤلاء ونظرتهم للإنسان والحياة والكون من زاوية التصور الإسلامي، لذلك كان من الطبيعي أن يكون للقرآن الكريم والحديث الشريف الأثر الأكبر في تناصهم واقْتباسهم، ثم تليهما المصادر الأخرى من الشعر العربي قديمه وحديثه، فضلا عن بعض المقولات التراثية لمشاهير العرب والمسلمين، وهذا ما سنبيّنه في تحليلنا لظاهرة الاقْتباس والتناص عن شعراء المجلة، فمنها ما كان متصلاً بالقرآن الكريم، ومنها ما كان متصلاً بالحديث النبوي الشريف، ومنها ما كان متصلاً بالشعر العربي القديم والحديث، ومنها ما كان متصلاً بالتراث.

الاقْتباس:

فمن الاقْتباس من القرآن الكريم قول الشاعر "حسن أحمد الفيّفي" وهو يصف رسالة وصلت إليه من صديق فحارت عواطفه وعيناه وفكره فيمن أرسلها فهي تتطلع لما فيها قبل فتحها لتعرف ممن هي:

فحاروا في قراءة منتهأها "فلما استئيسوا
خلصوا نجيا"²¹

فهو يقتبس من قوله تعالى: "فَلَمَّا اسْتَيْسُوا
مِنْهُ خَلَّصُوا نَجِيًّا"²²

ومن الاقْتباس من القرآن أيضا قول الشاعر "محمد رشدي عبيد"، وهو يصف الجنة وسحرها²³:

نأت الأصداء مبعقة

بأريج الزهر!

يا صحب ألا اغترفوا

"إن هذا إلا سحر يؤثر"

فهو يقتبس من قوله تعالى: "فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا
سِحْرٌ يُؤْتِرُ"²⁴

ومن الاقْتباس من القرآن الكريم أيضا قول الشاعر "يوسف عبد اللطيف أبو سعد" وهو يبين وضوح الحقيقة في عداة يهود للمسلمين فيقول²⁵:

"حصص الحق" فلا تتخدعوا كيف ترضون
عداكم شركاء!؟

فهو يقتبس من قوله تعالى: "قَالَتْ امْرَأَةُ
الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِي
وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ"²⁶. ومن الشعراء من بالغ في
الاقْتباس من القرآن الكريم في قصيدته، ومنهم
الشاعر "حسن الأمراني" حيث يقول²⁷:

والليل بسملة العارجين

إلى "سدرة المنتهى"

و"ناشئة الليل" مصباح أهل النهى

وليلي نداء من الغيب قال لي اقرأ:

"سبحان الذي أسرى بعبده ليلا"

فيا من رضيت العذاب الجميل النبيل

"قم الليل إلا قليلا"

"وسبحه ليلا طويلا"

فإن "وراءك يوما ثقيلًا"

فالشاعر يقتبس عدة آيات من القرآن الكريم على التوالي:

"عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى"²⁸، "إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ

هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيَالًا"²⁹، "سُبْحَانَ الَّذِي

أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ

²⁴ سورة المدثر، آية 24.

²⁵ المجلة، ع2، ص105.

²⁶ سورة يوسف، آية 51.

²⁷ المجلة، ع19، ص113.

²⁸ سورة النجم، آية 14.

²⁹ سورة المزمل، آية 6.

²⁰ ناصر جابر، شبانة، التناص القرآني في الشعر العماني الحديث،

مصدر سابق، ص1084.

²¹ المجلة، ع3، ص96.

²² سورة يوسف، آية 80.

²³ لمجلة، ع14، ص70.

لا يقول شعرا بل يرتل آيات متفرقة ومقطعة من القرآن!!.

وعلينا أن ننبه هنا أننا لا نقلل من فنية الاقتباس في الشعر، كما أننا لا نقلل من بلاغة كلمات القرآن وإيحائاتها، لكننا لا نتفق مع استعمال آيات القرآن بهذه الكثرة المفرطة في النص الشعري الواحد فيفقد النص فنيتها، ويفقد الاقتباس قيمته أداة فنية تأكيدية وتوضيحية.

وكما اقتبس شعراء مجلة الأدب الإسلامي من آيات القرآن⁴⁰، نظرا لثقافتهم الإسلامية، فقد اقتبسوا من الحديث النبوي الشريف، ولكن اقتباسهم من الحديث كان محصورا في أحاديث معينة، ويمثل التراث الإسلامي امتدادا طبيعيا لمصادر الاقتباس عن شعراء المجلة فضلا عن القرآن والحديث، فهم يرجعون إليه ليقبسوا منه كلمات مشعة دوى صوتها في التاريخ عبر أحداث وشخصيات معروفة كان لها الأثر في عزة الإسلام ونصرتة، ولم يكتف شعراء مجلة الأدب الإسلامي بالنهل من هذه المصادر الثلاثة (القرآن والحديث والتراث الإسلامي)، بل تجاوزوا إلى الاقتباس من الشعر العربي قديمه وحديثه، لكننا سنضرب عنها صفحا، لأننا نقتصر في بحثنا على الاقتباس من القرآن الكريم.

وهكذا كان الاقتباس عنصرا من عناصر تأكيد الفكرة والاستشهاد لها، عزز به شعراء المجلة أشعارهم وقصائدهم، فتمثلوا به في أشعارهم وهذه هي وظيفة الاقتباس في الشعر⁴¹.

⁴⁰ وردت عند شعراء المجلة اقتباسات كثيرة من القرآن ومنها فضلا عما قدمنا: "الريح العقيم"، بواد غير ذي زرع، "لا تعد عينك عنهم"، "البيتي مت قبل هذا"، "عمل غير صالح"، "إن وعد الله حق"، "مغتسل بارد وشراب"، "طعام الأثيم"، "فرعون ذي الأوتاد"، "اقرأ باسم ربك"، "رب السموات والأرض"، "واترك البحر رهوا"، "خير أمة"، "قضى نحبه"، "الكلم الطيب"، "على شفا جرف"، "وأعدوا لهم ما استطعتم"، "أتى الله بقلب سليم"، "وفار التنور"، "فغيض الماء"، "وهل أتاك نبأ الخصم"، "فقال من أنصاري إلى الله"، "أبصر بهم وأسمع"، "حتى تضع الحرب أوزارها"، "يوسوس في صدور الناس"، "ممكنين على الأرائك"، "قاب قوسين"، "شفاء ورحمة". ويمكن للقراري الرجوع إلى هذه الاقتباسات في القرآن الكريم.

⁴¹ أطلق علماء البلاغة مصطلح (التضمن) على الاقتباس وقد عرفوه بقولهم: "هو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسم منه، فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل". ابن رشيق، الفيزيواني، المعنة في محاسن الشعر وأدابه وتقده، ترجمة: عبد الحميد، محيي الدين بيروت، دار الجيل،

هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"³⁰، "فَمُ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا"³¹، "وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا"³²، "إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا"³³.

ولا شك في أن هذه مبالغة مفرطة في الاقتباس من القرآن الكريم، فقد أقحم الشاعر الآيات إقحاما، وزجها في نصه الشعري بما ينسجم مع وزن قصيدته، مما أدى إلى إضعاف النص الشعري بكثرة ما اقتبس من القرآن، فنأى بنصه عن التعبير الفني، وابتعد به عن الأداء الشعري.

ومثل ذلك فعل الشاعر "عبدالله شرف" في قصيدته التي يقول فيها³⁴:

"والتين والزيتون"

هل سعد يجالسنني؟

وإن جالسوا غمار الماء نعيه

خذي صوتي وأهاتي من نذاك الحلو أشرعتي

فمر نفض أسرابا..

ولا تبقي ولا نذر"

وقولي: "والضحى والليل" ما في جعبتي سبب

"سبحان الذي أسرى"

أعيد للمدار "الشمس وضحاها"

فالشاعر يكثر من الاقتباسات القرآنية: "والتين والزيتون"³⁵، "لا تبقي ولا تذر"³⁶، "والضحى، والليل إذا سجى"³⁷، "سبحان الذي أسرى بعبده لئلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير"³⁸، "والشمس وضحاها"³⁹ وهذه الاقتباسات الكثيرة تضعف النص الشعري فلا تثرى من إيحائاته، فالشاعر كسابقه

³⁰ سورة الإسراء، آية 1.

³¹ سورة المزمل، آية 2.

³² سورة الإنسان، آية 26.

³³ سورة الإنسان، آية 27.

³⁴ المجلة، ع 5، 69.

³⁵ سورة التين، آية 1.

³⁶ سورة المدثر، آية 28.

³⁷ سورة الضحى، آية 1 و 2.

³⁸ سورة الإسراء، آية 1.

³⁹ سورة الشمس، آية 1.

التناص:

إن الناظر إلى علاقة النص الشعري بالآيات القرآنية ليلحظ أن التصرف بالنص السابق لا يتعدى التشكيل اللغوي، فالدلالة ظلت على حالها، والفضاء الديني هو ذاته، بل جاء التوظيف مؤكداً للدلالة، ليبدو تسليط الضوء على النص القرآني أوضح من الإحالة إلى واقع النص، ومثل هذا التوظيف لا ينجح في زيادة إحياءات النص الشعري، فهو مجرد استعارات لسياقات قرآنية جاهزة يتم توظيفها كما هي، أو بتحويل طفيف في السياق الشعري كما رأينا أعلاه. ومن هذا النوع من التناص مع آيات القرآن، قول الشاعر عصام الغزالي وهو يخاطب القدس⁴⁶:

صوني دموعك فالسياط على البساط سترتمي
وسيسقط الوجه القبيح، ولات ساعة مندم
الغاصبون تلفعوا بدجى .. سيرحل فاسلمي
لا تفرعي منهم، أولئك هم وقود جهنم
والنور إن عراهم دوسي، ولا تترحمي
وكذلك أخذ الله إن أخذ الطغاة بماثم

إن النص الشعري يتبنى بالكامل دلالة النص القرآني، ويجعلها مؤكدة للدلالة الشعرية مع تحريف طفيف في اللفظ، ففي قول الشاعر: (ولات ساعة مندم)، تناص مع قوله تعالى: "كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادُوا وَّلَاتٍ حِينِ مَنَاصٍ"⁴⁷. وقوله: (أولئك هم وقود جهنم)، يشير إلى قوله تعالى: "وأولئك هم وقود النار". أما البيت الأخير فهو امتصاص وإعادة صياغة لقوله تعالى: "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ"⁴⁸.

ومن أمثلة التناص العقيم مع القرآن أيضاً قول الشاعر "محمد ياسين" العشاب⁴⁹:
يفنى الزمان ويبقى وجه خالقه وكل مبتدأ
في حكم مختتم
سبحان من خلق الإنسان من علق والفرطه
اكتملت في كل منظم

وكما كان للاقتباس في أشعارهم مكان، كان للتناص مع هذه المصادر الأربعة النصيب الأوفر في أشعارهم؛ لكون التناص يسري في عروق الشعراء ووجدانهم بوعي أو غير وعي، لأنه جزء من ثقافتهم ومن رؤيتهم للإنسان والحياة والكون، ومن هنا فقد كثر التناص في شعر شعراء المجلة وكان تناصهم على مستويين:

تناص لم يضيف معنى جديداً، ولم يوفق في تأدية فنية التناص فكأنه فضلة وحشو في النص.

وتناص جيد خدم النص وأثره وزاد من طاقاته الإيجابية.

فمن أمثلة النوع الأول مع القرآن قول الشاعر "عدنان النحوي" وهو يرثي ابنه في قصيدة يقول فيها⁴²:

إلى الله ! إنا له راجعون
فما من مجير ولا معقب
إياد !حنانيك ! والليل ساج
على مهجع بالهدى مرغب
فكم كان جنبك يجفو المضاجع
من رهب بالتقى تحتبي
فتحبي من الليل أجزاءه
فرغت إلى الله قم فانصب

فالبيت الأول يتناص مع قوله تعالى: "الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ"⁴³. وفي البيت الثالث إشارة إلى قوله تعالى: "تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ"⁴⁴. أما البيت الرابع فهو يتناص مع قوله تعالى: "فَإِذَا فَرَعْتَ فَإُنْصَبْ"⁴⁵.

، 2ج، ط4، 1972م، ص84. وانظر: أبو هلال، العسكري كتاب الصناعاتين، ت:مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1984م، ص47.

42 المجلة، ع1، ص85.

43 سورة البقرة، آية 156.

44 سورة السجدة، آية 16.

45 سورة الشرح، آية 7.

46 المجلة، ع28، ص31.

47 سور ص، آية 3.

48 سورة هود، آية 102.

49 المجلة، ع19، ص45.

هذا المعنى تمثله شاعرنا ووظفه في بيان أن عمر الإنسان وأيامه تمر بسرعة من غير أن يشعر بها، ومن غير أن يبصر حقيقة الأمر، فكأنه يرى أيامه ثابتة وعمره مستقر لانشغاله بأعباء الحياة ومتعتها، حتى إذا وصل سن الأربعين، وبدأ الشيب يدب في هشيم رأسه، تنبه إلى سرعة انقضاء العمر ومرور الأيام، وبذلك يكون الشاعر قد نقل الحديث عن سرعة المرور من وصف الجبال إلى وصف عمر الإنسان، فالتناص هنا قد وظف بشكل فني زاد من إحياءات النص الشعري وأثراه وفتح له آفاقاً رحبة من التأويل والتدبر والتفكير.

ومن التناص الجيد مع آيات القرآن أيضاً قول الشاعر سمير مصطفى فراج⁵⁶:

بدمي أرتل سورة البكر التي حملت بجيل
فاجأها جمر المخاض إلى جذوع المستحيل
فأتت به في كفه الأحجار والثأر النبيل
جيل سيمسح عن عيون مدينتي الليل
الطويل

فالشعر يتناص مع قصة مريم عليها السلام في قوله تعالى: "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ"⁵⁷.

وهنا تبدو جمالية التناص من خلال المفارقة بين نص الشاعر والنص القرآني، فالنص القرآني يتكلم عن مريم التي حملت بعبسى عليه السلام، والتجأت إلى جذع نخلة حيث تستريح وتستظل، ثم ناداها طفلها عيسى (نبي الله) بأن تهز بجذع النخلة ليتساقط عليها الرطب فتأكل وتشرب وتقر عيناً. أما نص الشاعر فيتكلم عن مدينة القدس التي حملت في بطنها أبناء هذه المدينة، والتجأت إلى جذوع المستحيل، حيث تنافح من أجل بقائها وبقاء الإسلام على أرضها في معاناة وألم وحرقة مما تلاقيه على يد الصهاينة المجرمين الذين يريدون أن يحيلوا بقاء الإسلام في القدس إلى مستحيل، فلم تسترح ولم تستظل

إن مثل هذه الإشارات التناصية ضعيفة في قيمتها الفنية لأنها استدعاء لمفردات قرآنية، وزجها في نص شعري لتأكيد حقيقة أخير عنها القرآن الكريم، فما هي إلا استعمال توضيحي للتناص، فصدر البيت الأول يتناص مع قوله تعالى: "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ"⁵⁰. أما البيت الثاني فيشير إلى قوله تعالى: "خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ"⁵¹.

ومن هنا نلاحظ أن الاستعانة بالنص القرآني في البناء الشعري، لا يعني عند هذه المجموعة من الشعراء⁵² أكثر من توكيد الدلالة الشعرية للوصول إلى المعنى المركز، "وهو ما يقابله الاستشهاد في النثر، لكنه في الشعر أكثر تركيزاً وكثافة، وفيه تصرف، ولو طفيف، بالنص القرآني ليتساقق والنص الشعري"⁵³. أما التناص الجيد مع القرآن الذي دخل سياقاً جديداً فمنه قول الشاعر "وليد قصاب"⁵⁴:

ومرت بك الأربعون
كمر السحاب

إن الشاعر يتناص مع قوله تعالى: "وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ"⁵⁵. فالنص القرآني يشير إلى أن الشيء قد يبدو للإنسان بخلاف ما هو عليه، حتى أنه لا يستطيع أحياناً أن يميز حقيقة الشيء، فقد يخدعه بصره فلا يرى الحقيقة إلا بعد حين، فالجبال نراها ثابتة راسية مستقرة، بينما هي في حقيقتها تدور مع الأرض بسرعة، سرعة السحاب الذي نراه يمر في السماء، فالآية هنا تتكلم عن بديع صنع الله وعظمته.

⁵⁰ سورة الرحمن، آية 26-27.

⁵¹ سورة العلق، آية 2.

⁵² أمثلة أخرى من هذا التناص عند كل من: "صابر عبد الدايم"، ع7، ص106. "والجباد الصافنات المؤمنات". "أحمد محمد الصديق"، ع14، ص49. "لا تعد عينك عنهم"، "بجبل الله متصل".

"محمد عبد الجواد"، ع1، ص104 "كريح تفي ولا تلد" (عقيم). "محمد التهامي"، ع9-10، ص174. "وفاتك من دهاق الكأس شرب". "محبوب موسى"، ع3، ص85. "يفرّ هنا الإنسان من كل أهله #فلا أم تجدي أو أب وزن شعرة". وغيرهم.

⁵³ ناصر جابر، شبانة، مصدر سابق، ص1087.

⁵⁴ المجلة، ع23، ص27.

⁵⁵ سورة النمل، آية 88.

⁵⁶ المجلة، ع4، ص89.

⁵⁷ سورة مريم، آية 23.

يوجب المسلمون عليهم بخيل أو ركاب، فقد كفاهم الله شر القتال.

أما الشاعر فيتكلم عن ضعف المسلمين وخيانتهم لبعضهم وتقاعسهم عن نصرته إخوانهم، وهو واجب عليهم ومن ضرورات دينهم وضرورات إيمانهم بالله ورسوله، ثم يتبع ذلك بتقريعهم بهذه العبارة: "أوجفوا خيلهم... لكن على جسدي"، فهم لم يكتفوا بالخيانة وعدم النصر بل سلطوا قوتهم وخيلهم وركابهم لتقف على أجساد إخوانهم المسلمين، فالعار يلحقهم مرتين: الأولى لتخاذلهم عن النصر. والثانية لضلوعهم في قتل إخوانهم المسلمين، فيألفها من صورة مخزية وبألفها من مفارقة بين إيجاف الخيل في الموقنين⁶¹.

وهكذا رأينا توظيف شعراء مجلة الأدب الإسلامي لأسلوب الاقتباس والتناص في أشعارهم على نطاق واسع فمنه ما كان مستمداً من القرآن الكريم، ولم نتوقف ما كان مستمداً من الحديث الشريف، وما نهل من التراث، وما وجد ضالته في الشعر العربي قديمه وحديثه.

كما رأينا تباينا في توظيف التناص عند الشعراء، فمنهم من وظفه بشكل جيد، زاد من إحياء النص وفتح أمامه مجالات واسعة من التحليل والتفكير، ومنه ما قصر عن بلوغ مراده فجاء رديئاً عقيماً لم يسهم شيئاً في إثراء النص، بل جاء مؤكداً وموضحاً لا غير.

ووفق هذا التصنيف يتفاضل الشعراء في استعمال هذه التقنية الأسلوبية فيكون أجود أنواع التناص "ما أحدث ضرباً من التماهي بين النصين حتى ليتشرب النص المضيف جزئيات النص الضيف ويهضمه في داخله حتى يذوب فيه، أما إذا ظل النص الطارئ طافياً على مياه

ولكنها قارعت المستحيل من أجل أن تلد هذا الجيل من أطفال الحجارة الأبطال، الذين ولدوا وفي كفهم الحجر، وفي نفوسهم الثأر من يهود الحاقدين، فهم الذين سيزيلون ليل الاحتلال ويرجعون إلى القدس نهارها وإشراقها البهية بالإسلام وأهله.

وهنا نرى حسن توظيف الشاعر للتناص وقد ربط الشاعر بين حدثين لعل الجامع بينهما إنما هو قدسية قصة مريم عليها السلام وقدسية القدس مهد عيسى عليه السلام ومعراج خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام. ومن التناص الخفي اللطيف مع القرآن الكريم قول الشاعر "أمين عبدالله سالم" في قصيدته "صرخة في وجه الصمت"⁵⁸:

القوم - يا ولدي - من ناصروك ضحى
عادوا مساءً.. وجروا ذيل مرتعد
وليس ينقصهم ما رمت من عدد وليس
يعوزهم ما شئت من عدد!
لكنهم - ويلتي - أغفوا على دعة وأسكرتهم
ظلال المربع الرغد
وأخذوا.. للمنى لكنهم شحبوا وأوجفوا
خيلهم... لكن على جسدي!

فعبارة "أوجفوا خيلهم"، فيها إشارة تناصية خفية إلى قوله تعالى: "وَمَا أَقَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"⁵⁹. ولكن الشاعر وظف بنكاه هذه العبارة توظيفا معكوسا لينتقل بها من حالة إيجاف الخيل⁶⁰ للعزة والنصرة إلى حالة الخيانة والتأمر على الله ورسوله وعلى المسلمين، فانه تعالى يخاطب المؤمنين ويذكرهم بما من عليهم من الفيء ومن غنائم المدينة بعد أن ألقى في قلوب اليهود الرعب فتركوا المدينة من غير أن

⁶¹ تنظر أمثلة أخرى للتناص مع القرآن في: ع7، ص107، "مشكاة ضوءها النري". ع9-10، ص181، "باسم ربك مجريها". ع14، ص49، "بحبل الله متصل". ع26-27، ص191، "يخلف قاعاً صاففاً". ع38، ص17، "وما يستوي البحرين". ع28، ص34، "زأغت الابصار". ع19، ص117، "الأرض إن ضاقت عليك". ع18، ص55، "ربحنا ثلاث". ع13، ص31، "بجنود مردفين منزلين". ع19، ص109، "وجهت وجهي". ع36، ص13، "لم يرقبوا إلا ولا نمة". ع37، ص11، "يبيمون في كل واد". وغيرها.

⁵⁸ المجلة، ع11، ص44.

⁵⁹ سورة الحشر، آية 6.

⁶⁰ جاء في المعجم الوسيط: "أوجف فلان: أسرع في سيره. وأوجف فلان فلاناً: حثه. ويقال: أوجف فلان دابته: حثها. ووجف الفرس أو البعير: أسرع". المعجم الوسيط، مصدر سابق، ص1014.

- كرستيفا، جوليا: علم النص، ترجمة: فؤاد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1991م،
- محمد، مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناسل)، دار التنوير للطباعة والنشر، الدار البيضاء، ط1، 1985م.
- الجائري، محمد عابد: تخصيص النص، أمانة عمان الكبرى، عمان، ط1، 2000م.

المراجع:

المراجع العربية:

المجلات والدوريات:

- "التناسل القرآني في الشعر العماني الحديث"، شبانة، ناصر جابر، عمان، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، المجلد 21، ع4، 2007م.
- "التناسل بين الاقتباس أو التضمين والوعي واللاشعور"، نجم، مفيد، الشارقة، جريدة الخليج، ملحق بيان الثقافة، ع55، يناير 2001م.
- "ماهية النص"، الأسدي، عبدالستار، الشارقة، مجلة الرافد، ع31، 2000م.
- عبدالمنعم عجب: "التناسل في القصيدة الحديثة"، الفيا، الكويت، البيان، رابطة الأدباء، ع355.
- مجلة الأدب الإسلامي الأعداد 1-40، حيث اعتمدت الدراسة في نصوصها الشعرية على هذه الأعداد.

الدوريات:

- المغيض تركي: "التناسل في نماذج من الشعر المغربي المعاصر"، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، مج20، ع1، 2002م.

النص، منعزلاً عن بنيته فإنه يسمي ضرباً من العبء الزائد على النص أو اللغة الفائضة التي يمكن شطبها أو عزلها عن سياقها البنائي⁶².

- ابن رشيق، القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ت: محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجبل، 0992 م.
- الزعبي أحمد: التناسل نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2000م.
- الغدامي عبدالله: ثقافة الأسئلة - مقالات في النقد والنظرية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط2، 1992م.
- بنيس، محمد: الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاته، المغرب، دار توبقال، ط1 د.ت.
- حمودة عبدالعزيز: الخروج من التيه - دراسة في سلطة النص، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 2003م.
- خليل إبراهيم: من معالم الشعر الحديث في الأردن وفلسطين، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006م.
- خليل، الموسى: قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م.
- عباس محمود جابر: استراتيجية التناسل في الخطاب الشعري العربي الحديث، علامات في النقد، نادي جدة الأدبي، جدة، شوال 1423 هـ.
- عبدالعزيز، موافي: قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2004م.
- علي جعفر، العلق: الدلالة المرئية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2002م.

⁶² شبانة، ناصر جابر، مصدر سابق ص194.

